عتبات النص قراءة في رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق.

إعداد

إيمان بسيوني إبراهيم بسيوني.

ماجستير في الأدب والنقد بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب- جامعة طنطا.

أ.د. محمد السيد الدسوقي.

أستاذ متفرغ في قسم الأدب والنقد البلاغي، كلية الآداب- جامعة طنطا.

أ.م. محمد مشرف خضر.

أستاذ مساعد بقسم الأدب والنقد، كلية الآداب- جامعة طنطا.

المستخلص:

تبلور موضوع الدراسة حول توضيح أهمية العتبات النصية لرواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق، وعتبات النص عبارة عن نظام سيميائي يحمل أبعادًا دلالية، ووظيفة إغرائية تجعل المتلقي يتتبع دلالته، ويفكك شيفرته وما يحمله من غرابة، وهى التي تحفز القارئ للبحث عن دلالته، ومدى صلته بالمتن الروائي، وتنشط الطاقات الذهنية لدى المتلقي لتأويل النص الروائي، وتتفاعل في نفسية المتلقي المتراكمات الفكرية لتأويل النص وتخييل الحبكة الدرامية داخل المتن بداية من عتبة الغلاف بألوانه المتعددة، ورسومه العميقة المعبرة، وعتبة العنوان، وانتهاء بالعتبات الداخلية المتمثلة في عناوين الفصول.

وأنها تعد المحطة الأولى التي يولج من خلالها القارئ لمتن الرواية، ويخوض في غمارها، فتقع عيناه على عتباتها النصية، فتهيئ القارئ للدخول في الرواية، والكشف عن غموضها.

وجاء اهتمام الدراسات الحديثة بالعتبات بعد تنبه الدراسات والمناهج الحديثة إلى جماليتها وفاعليتها الدلالية لما ترسيه من صورة بصرية تؤثر تأثيرًا بالغًا في طبيعة تأويل النص، فلم يعد متن النص هو الغاية الوحيدة التي يقصدها القارئ للتأويل، ويتوجب على القارئ الاهتمام بقراءتها، مثلما يهتم بمتن النص.

الكلمات الإفتتاحية:

عتبات، النص، قراءة، في، رواية "يوتوبيا".

العتبات:

تُعد محطة رئيسية يتوقف عندها القارئ محاولًا تفسيرها "وتكمن أهميتها في كون قراءة المتن تصير مشروطة بقراءة هذه النصوص فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها؛ فكذلك لا يمكننا الدخول إلى عالم المتن قبل المرور بعتباته؛ لأنها تقوم من بين ما تقوم به بدور الوشاية والبوح"(١).

ويعرفها فيصل الأحمر بأنها: "مجموع النصوص التي تحفز المتن وتحيط به من عناوين، وأسماء المؤلفين، والإهداءات، والمقامات، والخاتمات، والفهارس، والحواشي، وكل بيانات النشر التي توجد على صفحة غلاف الكتاب وعلى ظهره"(٢).

لذلك أولت الدراسة أهميتها بالعتبات النصية لرواية "يوتوبيا" لما لها من خصوصية في فَهم النص الروائي، وفك مضامينه وشفراته، فأي نص لا يمكن المرور بين طياته دون التنقل والترحل عبر عتباته النصية، التي تمنحه خصوصيته ورؤيته، فعتبات النص في رواية "يوتوبيا" تعد بمثابة مجموعة من العلامات المفصلية والمرشدة إلى المتن، وكاشفة عن محتواه.

توقفت الدراسة أمام مجموعة من العتبات، وكانت بمثابة المفتاح لدخول النص، وهذه العتبات تتمثل في غلاف الرواية بألوانه ورسومه المتنوعة، وعنوان الرواية الرئيسي، والعناوين الداخلية أو الفرعية، ثم عتبة الغلاف الخلفي الذي ارتبط مع كل تلك العلامات والعتبات.

لقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي، لاستنطاق العتبات، والكشف عن سبر أغوارها، وقُسمت الدراسة لثلاث محاور:

المحور الأول: عتبة الغلاف الأمامي ودلالته.

المحور الثاني: الغلاف الخلفي ودلالته.

المحور الثالث: عتبة العنوان، والعتبات الداخلية "الفرعية".

ثم الخاتمة لتظهر أثر العتبات داخل المتن، وتوظيف الكاتب لها ليعبر عن فكرته الأيديولوجية والفكرية.

عتبة الغلاف الأمامي:

الغلاف يعد "أيقونة إعلامية، وكوَّة نصيَّة تسلط الضوء على ما يموج بداخل المتن الروائي، فهو أول ما تقع عليه العين وآخر ما يبقى في الذاكرة بعد انتهاء قراءة العمل الأدبي؛ لذلك يتحرى المبدع الدقة في اختيار الغلاف جاعلًا منه عتبة الدخول إلى النص؛ لأن الغلاف تربطه علاقة مجازية بمضمون العمل الأدبي، والمتلقي إذا تمكن من فهم مكونات الغلاف وفك شفراته، استطاع الدخول إلى فضاء النص الروائي"(٣).

والغلاف الأمامي هو بمثابة الواجهة الأولى للرواية، فأول ما تقع عليه عين القارئ غلاف الرواية يتكون من أربعة أقسام غرافتيكية. الأولى الصورة التي تميز الغلاف، والثانية المؤلف، والثالثة دار النشر، والرابعة التجنيس.

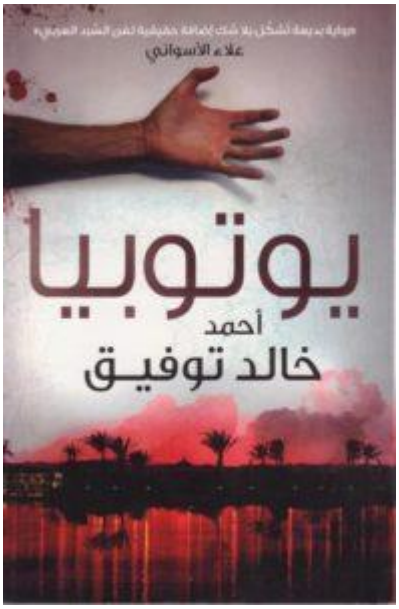

ويمثل غلاف رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق عتبة مهمة للولوج للنص الروائي، ويعكس نفسيته، ورؤيته، وفكرته الروائية والمستقبلية، ويعكس الغلاف ثنائية اليوتوبيا والديستوبيا التي دارت حولها الرواية، وتبرز عتبة الغلاف الأمامي أيقونة تراسل الحواس وتداخلها مع النص الروائي، وذلك لما يشتمل عليه من صورة بصرية تتآزر مع العنوان المكتوب.

لذلك تعد صورة الغلاف تعبيرًا فنيًّا، يتطلب من القارئ حسن قراءتها وإدراكها، وهى "كل تقليد تمثيلي مجسد، أو تعبير بصري معاد، وهى معطى حسي للتمثيل البصري؛ أي: إدراكًا مباشرًا للعالم الخارجي في مظهره المضيء"(٤)، وعليه فصورة الغلاف ليست عبارة عن مزيج من الألوان والرسومات؛ بل جزء من الرواية، فيمكن عدها نصًّا مختصرًا ذات دلالات وتمثيلات ثقافية وأيدلوجية تعبر عن مضمون الرواية، وتحتاج إلى قارئ متمرس وواع بمضمون الصورة، وعلى القارئ أن يكون مجهزًا بترسانة من الأدوات الإجرائية التي تمكنه من اكتشاف خبايا الصورة"(٥).

لذلك جاءت صورة الغلاف في رواية يوتوبيا معبرة عن صورة فوتوغرافية فعبرت عن يد قطعت إلى ساعدها، وهذه اليد في أعلى صفحة الغلاف من الجهة اليسرى وفوق العنوان، ولونت اليد باللون الأصفر مشوبًا باللون الأحمر.

وجاء في أسفل الغلاف صورة للساحل الشمالي أو الصحراء وصورة النخيل، ولونت صورة الصحراء باللون الأسمر، ورسم انعكاس لتلك النخيل وتلك الصحراء كلهما باللون الأسمر وأحاط الصورة باللون الأحمر، وكذلك صورة مستعمرة يوتوبيا الصورة عكست عن مضمون الرواية، فجسدت يوتوبيا المدينة التي عزلها أصحابها في صحراء الساحل الشمالي التي تفصل يوتوبيا عن الفقراء.

وعبرت تلك اليد المقطوعة عن يد جابر، فاليد عبرت عن قانون ممارسة الصيد الذي يمارسه شباب يوتوبيا من قتل الفقراء وأخذ قطعة من جسدهم ليحتفظوا بها. وظهر في الخلفية السفلية للغلاف صورة الشفق باللون الأحمر الذي يلمع في الشمس وانعكاسه في الصحراء، فهذا الشفق ينذر عن قرب قيام الثورة على الأغنياء، وما يخفيه وراءه من قتل ودماء وفقر....

وهنا انحراف صورة شفق الشمس المسلط على الصحراء عن مسارها الحقيقي؛ فالغروب يوحي باقتراب الليل، ونهاية النهار فتلك البداية تخبرنا باقتراب الثورة، وذلك باعتبار الغروب

بداية الليل ونهايته تكون بداية ليوم جديد، فهنا ندرك أنه بداية لتحقيق العدل والأمل الذي نُهب من الفقراء بسبب يد جابر أو قتل جابر؛ لذلك وضعت اليد مقطوعة فوق صفحة الغلاف؛ فكأنما تلك اليد أو الساعد هو يد الثورة أو ناقوس الخطر للأغنياء يوتوبيا.

وكذلك جاء بصورة الصحراء ليرمي على أهل يوتوبيا صفة الوحشية والقساوة التي تُميز الصحراء؛ فكأنه أراد أن يقول للقارئ: إن هؤلاء بهذا القانون – صيد البشر – صاروا مثل الصحراء القاسية الجافة، وورد من داخل النص ما يعبر عن وصف الصورة "ظلام الليل والصحراء.. ظلام الاحتمالات والأفكار.. أعرف أنني أستطيع قهر جابر لو هاجمنا.. لن ينتصر الفقر، والشحوب، وسوء التغذية على الثراء، والرياضة منذ الصغر.. لكن جابر يمشي وسط الصحراء بين النباتات الشوكية وبقايا الصبار ..يلتف وراء تل صغير، ويطلب منا اللحاق به"[٦]، ومن خلال هذا الوصف يفطن المتلقي أن الصورة لتلك الشخص الذي يقف عند قمة التل هو جابر.

وجاء في أعلى الصفحة نقد من علاء الأسواني يمدح فيه الرواية، هنا عامل من عوامل جذب المتلقي؛ فإن أول ما تقع علية عين القارئ ذلك المدح للرواية، فهو يعمل على إثارة وتشويق القارئ، وكذلك عمل على معرفة القارئ أنه أمام نوع جيد من الأدب الروائي، وهو الأدب اليوتيوبي والديستوبي، أو أدب ثنائية المدينة الفاضلة، والمدينة الفوضوية، وهذا النوع من الأدب حديثًا على الأدب العربي ولعل العراب أحمد خالد توفيق كان من الروائيين الجدد الذين خاضوا غمار تجربة هذا النوع داخل المجتمع العربي.

ألوان الغلاف :

الغلاف عبر عن مجموعة من الألوان المتعددة، فاللون الرمادي بدرجاته المختلفة، وأعلى الصفحة لونت بالأحمر القاتم من ناحية اليسار، ولونت اليد باللون الأصفر المختلط باللون الأحمر، وفي منتصف الغلاف جاء اللون الأبيض ثم تدرج باللون الأبيض إلى أن وصل باللون الرمادي الفاتح مرة أخرى ثم جاء باللون الأحمر، واللون الأسود.

اللون الرمادي: هذا اللون جاء بين الرمادي الفاتح والرمادي الغامق، ومن علماء اللون من يفرق بين درجتين من الرماد "وهما : اللون الرمادي الفاتح حيث يمثل الأنانية، والرمادي الباهت يمثل الخوف من الموت، والرعب، والحنين، والرمادي الغامق فهو أقرب للأسود، ويمثل الكآبة، وانقباض النفس وانعدام الأمل"[٧] وبتمعن النظر داخل المتن يتبدى ما يدل على ذلك "الخلاصة التي توصلت لها بعد دقيقة في هذا العالم هي أن هؤلاء القوم يتظاهرون بأنهم أحياء.. يتظاهرون بأنهم يأكلون لحمًا ويتظاهرون بأنهم يشربون خمرًا....."[٨].

وقول جابر "فيما بعد عندما ألتقط أنفاسي سوف أعرف إن كان من حسن حظي أن بقيت حيًّا جائعًا، أم كان من الأفضل لي أن أموت في نفق المترو المظلم.

لا أعرف.. لا أقدر على الموت. أنا بكتريا مرغمة على الحياة مهما حدث لها.."[٩]، فالمقطعان يظهران حياة اليأس وانعدام الأمل في الحياة، وكذلك يظهر الضبابية التي عاشها الأغيار، فهم عاشوا في ضباب الفقر، ولم يعرفوا كيف صار الأغنياء أكثر غنى؟، والفقراء أشد فقرًا؟ وقوله مرة أخرى "بالطبع لا تفهمان شيئًا عن الوضع الذي صرنا إليه.. لكني أكره ألا أخبركما بكل شيء.. الصورة التي تريانها كانت موجودة منذ البداية لكن بشكل غير واضح، ثم تضخمت شيئًا فشيئًا.. يصير الأغنياء أغنى والفقراء أفقر، ثم تأتي لحظة يحدث فيها الانهيار....هكذا تكون مجتمعان أحدهما يملك كل شيء والآخر لا يملك شيئًا.."[١٠] المقطع أوضح الضبابية وعدم الفهم التي عاش بداخلها الفقراء؛ لذلك عبر اللون الرمادي عن الضبابية، والحزن، والفوضى التي عاش بداخلها الفقراء.

واللون الأحمر جاء هو الآخر بين الأحمر الفاتح والأحمر القاتم، فالأحمر القاتم جاء ليعبر عن لون القتل والموت، ولذلك جاء به أعلى الصفحة فوق الجهة اليسارى؛ ليعبر به عن الموت الذي يذقه فقراء يوتوبيا كل يوم بسبب الجوع والفقر، أو بسبب صيد شباب يوتوبيا لهم "وهناك جوار جدار وجدوا جثة عزوز وقد مزقتها الطعنات. فقط لم يكن له ساعد.. لقد تعب فتية يوتوبيا كثيرًا حتى انتزعوه، ومن الواضح أنهم لا يملكون خبرة الجزار في التشريح"(١١)، أو عبر الدم اللون الأحمر الذي فوق اليد على قطرات الدم التي تناثرت من جابر أثناء قتله ليحمل دلالة الخيانة التي تمتع به فتى يوتوبيا بعد قتله لجابر.

الأحمر الفاتح في أسفل الغلاف يدل على ضوء الشمس وغروبها، فهو بداية ليوم جديد، ويوجد من المتن ما يدل على اللون الأحمر للشفق أو غروب الشمس على لسان جابر ما يدل على تغيير الأحوال "منذ متى ضاع كل شيء؟.

لا أعرف..

يشبه الأمر مراقبتك ساعة الغروب.. لا تعرف أبدًا متى انتهى النهار وبدأ الليل.. متى بهت الضوء وبردت الأشياء، ومتى تسرب دم الشفق الأحمر يلوث الأفق، ولا متى ساد اللون الأرجواني كل شيء.. لا يمكنك أن تمسك لحظة بعينها... ليس بوسعك أن تقول: هنا كان النهار وهنا جاء الليل..."(١٢)، فالشفق دل هنا على بداية التغيير الذي حصل للطبقة الوسطى التي انعدمت وصارت من الفقراء، فهنا انقسم المجتمع إلى أغنياء وفقراء.

ويدل كذلك على الثورة القادمة التي يمكن أن تغير مصير الفقراء "هذه المرة هم أعنف وأكثر تصميمًا وتنظيمًا.. يقولون إن أحدهم ساعد اثنين من يوتوبيا على النجاة من أرض الأغيار وجعلهما يعيشان تحت سقفه، ولكنهما قتلاه وقطعا يده بعدما اغتصبا أخته العذراء!.. وجدوا جثته في نفق يستخدم للتسلل إلى هنا. تسللت إلى كل كوخ وكل زقاق هناك وأشعلت النفوس .. لقد تحملوا الكثير لكن يبدو أن هذه كانت القشة التي قصمت ظهر البعير..

قالت لارين في استخفاف:

- إنهم قد سُلبوا كل شيء و ظلوا صامتين فماذا يُحدثه موت واحد من فارق؟.. لا أظن الثورات تقوم لأسباب كهذه..

- بل لا تقوم إلا لأسباب كهذه.. الصخرة تحملت الكثير من الضربات لكنها تفتت عند الضربة الخمسين.. لم تكن الضربة الخمسون هي ما فعل ذلك لكن كل الضربات السابقة.."(١٣)

وجاء باللون الأسود ليدل على الظلم، والقهر، والعدوان الذي عاشه الفقراء.

كذلك عبر عن النظرة السوداوية التي أصابت المجتمع المصري وتغيير سلوكياته وعاداته إلى الانحراف الأخلاقي والاجتماعي.

اللون الأصفر الباهت الذي مثل اليد، دل على الغدر والخيانة، أراد بهذا الغدر الذي قام به الفتى وقتل جابر بعد أن انقذه من أرض الأغيار.

اللون الأبيض الذي جاء عبر عن الأمل في أن يقوم الفقراء بالثورة، وإن كان هذا الأمل بعيدًا.

فالغلاف رسم لنا معانيا ذات دلالات تعلقت بمضمون الرواية، فقتل جابر كان هو الشرارة التي أشعلت الثورة، وجددت الأمل رغم الدماء والعنف، وعبر الغلاف عن رؤية كاتب الرواية رؤية يقرأ من خلالها المستقبل المصري على المدى البعيد.

ألوان غلاف الرواية:

الألوان	دلالته
الرمادي	الضبابية وعدم الوضوح الذي أدى إلي ذلك الخلل الذي أصاب المجتمع.
الأبيض	الأمل، وإن كان بعيدًا.
الأسود	الظلم، والقهر، والفقر، والجوع.
الأصفر	الخيانة، والغدر.
الأحمر	الخطر، والدم، والثورة.

الغلاف الخلفي:

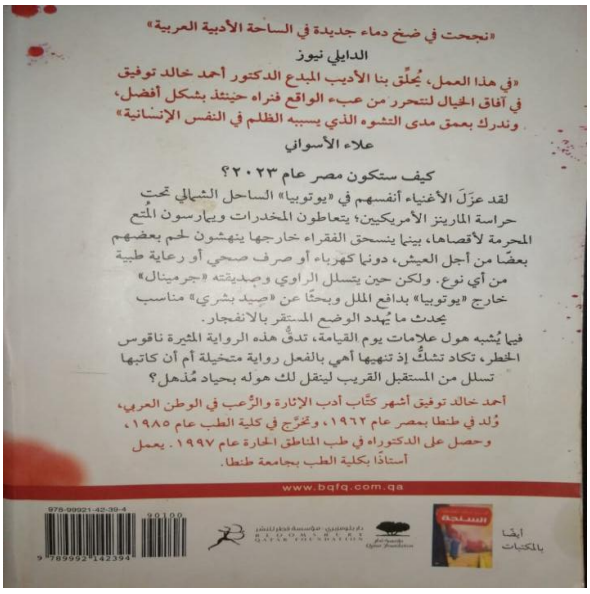

طغى اللون الأبيض على صفحة الغلاف الخلفي، مع وجود اللون الأحمر على هيئة قطرات علي جانبي الغلاف بصورة قليلة، فاللون الأبيض جاء ليعبر عن الأمل الذي كاد أن ينقرض ولكن خرج بين ضلوع الموت والفقر.

وجاء اللون الأحمر ليعبر عن الدماء التي سالت من الفقراء وعن الشقاء وعن الثورة؛ فندرك أن الغلاف الخلفي جاء ليكمل الغلاف الأمامي.

وجاءت دار النشر بتعليق من الدايلي نيوز: "نجحت في ضخ دماء جديدة في الساحة الأدبية العربية "[١٤]، وعلاء الأسواني " في هذا العمل، يُحلِّق بنا المبدع الدكتور أحمد خالد توفيق في آفاق الخيال لتحرر من عبء الواقع فنراه حينئذ بشكل أفضل، وندرك بعمق مدى التشوه الذي

يسببه الظلم في النفس الإنسانية"[١٥]، فهذا عمل على جذب القارئ، ويخبر أن هذه الرواية ومؤلفها يتجهان نحو الشهرة سواء على الصعيد العربي أو الصعيد العالمي، فينجذب القارئ للرواية بدافع الفضول وحب الاطلاع، و أن هذا النوع من الأدب الروائي – الديستوبي- هو نوع جديد على أدبنا العربي، هنا وضع القُراء أمام عنصر الفضول الذي سوف يدفعهم لخوض تجربة هذا النوع الجديد.

وكتبت دار النشر ملخص عن الرواية، وختم الملخص بسؤال: "تكاد تشكُّ إذ تنهيها أهي بالفعل رواية متخيلة أم أن كاتبها تسلل من المستقبل القريب لينقل هو له بحياد مُذهل؟"، فهذا يعمل أيضًا كعلامة إشهارية على الترويج للرواية، وهذا السؤال يعمل على دفع القارئ للغموض والبحث عن أجوبة لهذا السؤال، بهذا تمكنت الدار من التسويق لهذا العمل الأدبي، وعمل هذا السؤال الذي على القارئ الإجابة عليه على جعله يفكر في المستقبل البعيد، وإمكانية حدوث تلك الرؤية على أرض الواقع.

وجاء قبل أسفل صفحة الغلاف تعريف مختصر عن الكاتب، وهنا تعمل الدار على تعريف الكاتب للقارئ وخاصة أن هذا أول عمل روائي للدكتور أحمد خالد توفيق، فهذا التعريف يكون لدى المتلقي تعريف مبسط عن الكاتب الذي سيقرأ له.

وآخر صفحة الغلاف جاء برسمه غلافا لرواية أخرى، وهذا إعلان من الدار على أنها ستتكفل بنشر وتوزيع تلك الرواية والرواية الأخر.

عتبة العنوان:

يعد العنوان هو مفتاح المتن الروائي، فالعنوان يعد ملخص لأحداث الرواية فهو رسالة قصيرة يتلقاها القارئ " فهو رسالة لغوية تعرف بهوية النص وتحدد مضمونه، وتجذب القارئ إليه، وتغويه به" [١٦] ومن ثم فهو "مجموعة من العلامات اللسانية من كلمات وجمل حتى النصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه وتثير لمحتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف وهو أول عتبة يطؤها الباحث السيميولوجي لاستنطاقه واستقرائه بصريا ولسانيا، وأفقيًا وعموديا"[١٧]؛ فالعنوان يتحمل مسؤوليه جذب القراء واستدراك فضولهم ويساعد على تكوين علاقة ذهنية بين القارئ والنص، وعليه فكلما كان العنوان جذابًا ومتألقًا ومعبرًا عن خفايا النص ساعد على جذب القارئ والعكس؛ ويمكن للعنوان أن يكون سببًا في نجاح أو فشل أي عمل أدبي.

واهتمام الدراسات الحديثة بالعنوان لم يكن اعتباطيًا، أو من قبيل الصدفة أو من قبيل التوسع في الدراسات الحديثة فقط؛ بل لضرورة العنوان وما يحمله من خطورة فهو بؤرة العمل الأدبي، وكتابة العنوان جعلته من المصطلحات الضرورية للولوج للنص وثبر أغواره، فتحليل العنوان عُد إجراءًا ناجحًا لمقاربة النص الأدبي.

وظائف العنوان:

١- الوظيفة التعينية: هي التي تعين اسم الكتاب وتعرف به للقراء بكل دقة وبأقل ما يمكن من احتمالات اللبس، "فهى الوظيفة الوحيدة الضرورية إلا أنها لا تنفصل عن باقي الوظائف؛ لأنها دائمة الحضور ومحيطة بالمعنى.

٢- الوظيفة الوصفية : تُعد المسؤولة عن الانتقادات الموجهة للعنوان، وهى نفسها الموضوعاتية، والخبرية، والمختلطة، كما ضمنها من قبل في الوظيفة الإيحائية،... وهذه الوظيفة لا منأى عنها لهذا عدها إمبرتو إيكو كمفتاح تأويلي للعنوان.

٣- الوظيفة الإيحائية: هي أشد ارتباطا بالوظيفة الوصفية، أراد الكاتب هذا أم لم يرد، فلا يستطيع التخلي عنها، فهي ككل ملفوظ لها طريقتها في الوجود، وأسلوبها الخاص، إلا أنها ليست دائمًا قصدية.

٤- الوظيفة الإغرائية: وتستقل هذه الوظيفة بأفضليتها عن ما سبقتها "ففي حضورها يمكنها أن تظهر إيجابيتها أو سلبيتها أو حتى عدميتها بحسب مستقبليها اللذين لا تتطابق قناعتهم وأفكارهم دائمًا مع أفكار المرسل الذي يريد الذي يريد المرسل إليه حملهم عليه"[١٨]، وعليه فالعنوان ذو فائدة هامة للدخول للمتن الروائي.

جاء العنوان قبل منتصف الغلاف بقليل، باللون الأحمر القاتم، بخط كبير، وعندما ينظر القارئ للعنوان من أول وهلة يشعر بالخوف والرعب، فاللون الأحمر الذي لون به العنوان يدل على الموت والعذاب والخراب، فالكاتب أراد من القارئ أن يدرك نوع الرواية التي بين يديه فهي من خلال عنوانها تقوم على العنف والغدر والموت الذي تحمله الشخصيات الروائية اتجاه بعضها فكلًا منهما يريد قتل الآخر، فمن خلال تطلعنا للمتن الروائي ندرك أن الأغنياء يريدون صيد الفقراء للمتعة، والفقراء يريدون قتلهم من أجل الانتقام منهم، هذا ما نلاحظه من المقطع السردي "لا أريد دمًا.. لا أريد قتلى.. الأهم أن كل لحظة تشعرني بأن وجوه التشابه بيننا قوية جدًّا... كلانا هنا وهناك نعشق العنف.. كلانا هنا و هناك نحب المخدرات.. كلانا هنا وهناك نرى أفلام الاغتصاب في نهم.. لهذا لا أريد دمًا.. لا أريد قتلى.."[١٩]، من هنا نفهم دلالة اللون الأحمر الذي لون به العنوان، فيوتوبيا صار أشخاصها يعيشون داخل عالم ممتلأ بالانتقام والموت، رغم رفاهية العيش الذي يعيشون بداخله.

وجاء العنوان في الصفحة الأولى بعد الغلاف في أسفلها جهة اليسار، والصفحة الثانية في الربع الأول من الجزء العلوي للصفحة، وجاء في كلاهما باللون الأسود الذي يوحي لدي القارئ بقتامة الحياة التي يعيشها المجتمع داخل الرواية، وفقدان الهوية التي عاشها كلًا من الأغنياء والفقراء.

البنية المعجمية في رواية يوتوبيا:

يوتوبيا: "مصطلح فلسفي مؤلف من لفظتين يونانيتين "tops" ومعناه المكان، ولفظة "ou" ومعناه ليس في مكان، إذن ما ليس بمكان، إذن ما ليس بمكان هو الخيالي أو المثالي، فهو مصطلح يدل على ما يجب أن يكون عليه المجتمع المثالي. وأول من استعمل هذا المصطلح توماس موراس في كتابه 'De Optimo republicaestatudeque nova utopia" عام ١٥١٦"[٢٠].

ومن النص ما يوافق هذا المعنى "يوتوبيا... المستعمرة المنعزلة التي كونها الأثرياء على الساحل الشمالي ليحموا أنفسهم من بحر الفقر الغاضب بالخارج، و التي صارت تحوي كل شيء يريدونه.. يمكنك أن ترى معي معالمها.. البوابات العملاقة.. السلك المُكهرب.. دوريات الحراسة التي تقوم بها شركة سيفكو التي يتكون أكثر العاملين فيها من مارينز متقاعدين بعد هذا منطقة الحدائق.. منطقة المدارس المخصصة لإقناع الآباء أنهم مازلوا كذلك....."[٢١]، فهذا المقطع يبين لنا تلك المدينة التي توافرت بداخلها كل وسائل الرفاهية والحياة وعزلوا أصحابها أنفسهم في الساحل الشمالي بعيدًا عن الفقر، وبذلك نرى أن المعنى المعجمي أو الفلسفي وافق معناها داخل النص الروائي.

البنية التركيبية اللغوية:

يوتوبيا: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هى أو تلك يوتوبيا.

الكاتب آثر أن يأتي بالخبر ليتصدر الإخبار بنفسه دون المبتدأ، ليفت انتباهنا نحن القراء أن يوتوبيا هى مدينة تُعرف عن نفسها فهى مدينة الأحلام التي قرر الأغنياء أن يبنوها لأنفسهم، والكاتب أراد من القارئ أن يتوهم أنه سيقرأ عن مدينة فاضلة بها كل وسائل الراحة والخيال، ولكن القارئ عندما يغوص في أعماق النص يرى أن الرواية حاملة في طياتها ثنائية ضدية فيوتوبيا هي مستعمرة الأغنياء فقط أما الفقراء فيعيشون في الديستوبيا وهي عكس اليوتوبيا يعيشون في الفقر والفوضى.

والكاتب أراد من القارئ أن يقدم له عنوانًا دالًا على المكان ليخبره أن بين يديه رواية تحمل في طياتها فكرة سياسية وثقافية وأيدولوجية مستخدمًا الرمزية؛ "لأن المجتمع في مرحلة ما قد يصبح معقدًا يحتاج لمن يصفيه ليوضحه وينظمه، وعليه لا يأخذ العنوان الدال على مكان على أنه إيحاء مباشر عار من الدلالات، بل لابد أن يُرى على أنه علامة أم رمز يمكن أن يتقاطع المرجع فيه مع المجاز"[٢٢]، وما يدل على ذلك تلك المقدمة التي قدمها المؤلف من توقع ظهور يوتوبيا وانهيار المجتمع في المستقبل، فيقول: "يوتوبيا المذكورة هنا موضع تخيلي، وكذلك الشخصيات التي تعيش فيها ومن حولها، وإن كان المؤلف يدرك يقينًا أن هذا المكان سيكون موجودًا عما قريب؛ أي: تشابه للمكان والشخصيات مع أماكن وشخصيات في الواقع الحالي هو محض مصادفة غير مقصودة"[٢٣]، فكلمة المؤلف عُدت كاشفة لدلالة الرمزية التي أرادها الكاتب، وعبرت عن رؤية توفيق القاتمة للمستقبل المصري.

البنية الدلالية للعنوان:

جاء لفظ يوتوبيا داخل الرواية نحو واحد وستون مرة منهم من دل على أنها المستعمرة التي عزالها الأغنياء على الساحل الشمالي، ودل البعض على أنها مستعمرة الموت والعنف.

فيوتوبيا داخل المتن الروائي وإن كانت توافرت فيها سبل الثراء والرفاهية إلا أنها في نفس الوقت توافر فيها سبل ذلك المجتمع العنيف الذي يقتل الفقراء "في يوتوبيا... حيث يتوارى الموت خلف الأسلاك الشائكة، فلا يصير إلا لعبة يحلم بها المراهقون..."[٢٤].

وكذلك يوتوبيا دلت على المجتمع الذي بداخله تفقد الذات هويتها، فهو مجتمع انزلق نحو التحلل الديني والاجتماعي "ماذا بوسعك أن تفعل في هذه الجنة الصناعية؟.. تنام.. تتعاطى المخدرات.. تأكل حتى يزهق الطعام أنفاسك.. تقيء حتى تتمكن من معاودة لذة الأكل..... لوكنت تعرف طريقة أخرى يمارس بها المرء حياته فلسوف يسعدني أن تقولها.....إنها يوتوبيا... حيث يضنيك البحث عن طرقة تزجي بها كل دقيقة من حياتك..."[٢٥]، فيوتوبيا هنا جاءت على خلاف المعنى المعهودة عليه فهى مدينة قامت على الفوضى وعلى الانهيار الديني، والاجتماعي، والأسري، فتلك المدينة التي تشبه الجنة التي على الأرض بداخل مجتمع متفكك لا يختلف عن المجتمع الفقير المقتضي عليه بالهلاك.

وعليه فتوفيق أراد أن يكسي العنوان طابعًا رمزيًا، فربما أراد باليوتوبيا هذا المجتمع أو تلك المدينة التي بنيت على انقاض الفقراء وأحلامهم، وربما أراد بها واقع المجتمع المصري، السياسي، والاقتصادي، ونقض العادات والتقاليد التي يفعلها الأثرياء اتجاه الفقراء، ونرى داخل النص الروائي ما يدل على ذلك "في أوائل القرن الحادي والعشرين، وفي آخر إحصاء أمكن عمله، كان هناك ٣٥ مليون مصري يعيشون تحت خط الفقر، وكذا كانت البطالة التي وصلت إلى أعلى كعدلاتها العالمية ١٠ ملايين

عاطل.. لا حظ أن ٧٨%من مرتكبي الاغتصاب عاطلون.. أي أن جريمة الاغتصاب هي في الحقيقة اغتصاب للمجتمع. دعك بالطبع من ذوبان الطبقة الوسطى التي تلعب في أي مجتمع دور قضبان الجرافيت في المفاعلات الذرية. وهذا هو ما حدث بالضبط ، لكن الانفجار لم يقض على الطبقة الثرية.. لقد نسف ما تبقى من الطبقة الوسطى، وتحول المجتمع إلى قطبين وشعبيين.."[٢٦] وهذا الذي أراد الكاتب من القارئ أن يدركه من العنوان.

العناوين الداخلية للرواية:

العناوين الداخلية تساهم تلك العناوين على إيضاح الموضوع، وفهم النص الروائي من خلال الدلالات والرموز التي تحملها العناوين الداخلية، فتلك تمنح القارئ التواصل وتكوين صورة ذهنية بين العنوان الرئيسي وعناوين النص الداخلي، وأن "حضورها محتمل وليس ضروري و إلزامي في كل الكتب "[٢٧].

قسمت الرواية إلى خمسة أجزاء حمل كل جزء اسم منهما على حد اسم الفريسة أو الصياد، جاء عدد صفحات الرواية ١٨٩ صفحة.

اسم الجزء	الصفحة
الصياد	١١: ٥٦ ٩١: ١٢٢ ١٥٥: ١٨٩
الفريسة	٥٩ : ٨٨ ١٢٥: ١٥٢

جاء الصياد في ثلاثة أجزاء من الرواية، جاء في الجزء الأول من الصفحة ١١: ٥٦، ومرقم على خمسة مقاطع تحدث فيه الصياد عن يوتوبيا وعن نفسه "أنا لم أعد طفلًا... لقد تجاوزت السادسة عشرة.. قرأت كل كتاب وقع في يدي حتى اكتفيت.. أن الكتب سلعة نادرة هنا في سني الصغيرة نسبيًّا هذه كوّنت قناعة لا بأس بها هي أنه لا جديد تحت الشمس، ولا يوجد شيء واحد يمكن تعلمه بعد هذا.. هناك خلل اجتماعي أدى إلى ما نحن فيه، لكنه يجب أن يستمر.. كل من يحاول الإصلاح يجازف بأن يفقد كل شيء"[٢٨] وعن قراره الذهاب لأرض الأغيار للصيد، وتحدث عن اللحظات الأولى داخل عالم الأغيار.

وجاء في الفصل الثالث حاملًا نفس العنوان من الصفحة ٩١: ١٢٢، وعلى نحو أربعة مقاطع مرقمة تحدث في هذا الجزء عن جابر ومنزله، ويكشف لنا الفتى أو الصياد شكل عالم الفقراء واصفًا الشوارع لديهم، ويكشف هذا الجزء مقارنة بين الحياة اليومية للفقراء والأغنياء، ويسلط الضوء على المرأة الغنية والفقيرة، فيقول: "قال لي إننا بصدد جولة يريني فيها لك العالم الذي أجهل كل شيء عنه.. قال إننا حران لو أردنا الفرار..... هكذا غادرنا الكوخ الحقير إلى شوارع في غاية الازدحام وغاية الفقر.."[٢٩].

الفصل الخامس من الصفحة ١٥٥: ١٨٩ وجاء في خمسة مقاطع سردية مرقمة، وتحدث عن رحلة رحيله من شبرا – بلد الأغيار – إلى يوتوبيا، وتحدث فيه عن

اغتصابه لأخت جابر، وعن قتله لجابر الذي انقذه، وتحدث فيه عن عودته داخل أراضي يوتوبيا، وتحدث عن قيام الفقراء بالثورة وقرب هجومهم على يوتوبيا بسبب جابر "رأيتهم هناك على مدى الأفق قادمين.. يحملون المشاعل ويصرخون غضبًا..

بعد ربع ساعة سيكونون هنا..

سيكونون بيننا..

بيومي ومتولي وعبد الظاهر والسرجاني وصفية .... كلهم هنا"(٣٠).

وجاء الفصل الثاني والثالث يحمل عنوان الفريسة.

الفضل الثاني من الصفحة ٥٩ : ٥٦، مقسم على أربعة مقاطع سرية، تحدث فيها جابر عن حياته وشخصيته وعن مقته لحياة الفقراء، وتحدث عن أخته صفية، فجابر تكلم عن حياة الفقراء وطريقة عيشهم، وتكلم عن المرأة الفقيرة، وكذلك تكلم عن الفتى والفتاة القادمين من يوتوبيا، فيقول جابر: "سأموت خلال يومين أو ثلاثة.. تسألني كيف عرفت هذا؟.. أقول لك إنه لا فرصة للنجاة أمامي.. أنا ولدت خاسرًا ولسوف يظفر بي الفتى القادم من يوتوبيا لا محالة.."(٣١).

الفصل الرابع من الصفحة ١٢٥: ١٥٢، مقسم على أربعة مقاطع سردية تحدث فيها جابر عن شخصيته التي لا تريد القتل وعن الفتى اليوتيوبي الذي أخذه ليعمل ويكشف له عالم الفقراء، وتحدث عن بدء كشف سر الفتى والفتاة ومعرفة أنهم من يوتوبيا فقرر جابر إخراجهم من شبرا أرض الأغيار "لقد اشتمت أنوف كثيرة الرائحة، وتجمع الذباب حول العسل لو كان ما آويه في داري عسلًا. لو أردت لهما الحياة فليفرا الليلة.. فليفرا فلا يقع علَّي لوم سوى لوم الغفلة والغباء.. الليلة قبل أن يحدث شيء آخر.."(٣٢).

بذلك نرى أن الفصول قد خدمت العنوان، وأدت بالقارئ إلى الوصول بالمعنى الذي أراده الكاتب، وحرص الكاتب على تسمية العناوين الداخلية بالصياد والفريسة ليعمق لدى القارئ دالة العنف والصراع بين الذات والآخر المعادي لها، فالصياد عرف عنه عزمه على عزم الفريسة واصطيادها مهما كلف الأمر، وعرف عن الفريسة هروبها وخوفها من الصياد والهروب منه فذلك الحال بين الفتى وجابر أو بين الفقراء والأغنياء على طول الرواية العلاقة بينهما عبارة عن صراع وكره وعنف متبادل.

وحرص الكاتب على ترقيم المقاطع ليعزز دلالة فقدان الهوية والاغتراب داخل المجتمع الواحد فكلا الطرافان فقد الهوية.

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة في عتبات النص وقف البحث أمام أهمية تلك العتبات التي تؤسس لنص جديد، فتلك العتبات تلاقت مع النص الأصلي وعبرت عنه، وكشفت الدراسة عن اهتمام الكاتب أحمد خالد توفيق بعتبات النص، ومنحها التأصيل الفكري، والثقافي، والاقتصادي، عبر ربطهما ربطًا وثيقًا بالنص، ونوجز أثر العتيات داخل المتن في النقاط التالية:

١- عتبة الغلاف الأمامي عبرت عن مضمون الراوية، وجسدت صورة العنف أو الصيد البشري الذي يتخذه شباب يوتوبيا تغيرًا لنمط الحياة.

٢- ألوان الغلاف جسدت صورة القتل والعنف، وكذلك جسدت حالة الضبابية التي عاشها الأغيار أو الفقراء.
٣- مثلت الصورة الفوتوغرافية- صورة اليد المقطوعة- مشهد تصوير داخل الرواية عبرت عن مقتل جابر، وكذلك رمزت اليد إلى كل الفقراء أو الأغيار
٤- استطاع الكاتب أن يوهم القارئ بمضمون العنوان، فالرواية تحدثت عن صورة الديستوبيا التي رصدت حالة الفوضى، والانهيار الاجتماعي، والثقافي، والأسري، ورصدت صورة العنف، والفقر.
٥- عُد الغلاف الخلفي للرواية بمثابة ملخص لأحداثها، وعمل على تشويق القارئ، وإثاره مخيلة القارئ لهول المستقبل القريب.
٦- أكدت الدراسة على رؤية الكاتب المستقبلية التي استطاع تكوينها من خلال ثقافاته وأيدولوجيته المعرفية والمرجعية للتاريخ، وكشف الغلاف وتناسقه مع المتن على الديستوبيا الروائية التي عبر الكاتب عنها من خلال الغلاف والعنوان إلى العناوين الداخلية وصولًا للقارئ إلى المحكي الأصلي.

المراجع:

(١) عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص دراسات في مقدمات النقد العربي القديم افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٠، ص٢٣.
(٢) فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط١، ٢٠١٠، ص٢٢٣.
(٣) د. محمد مصطفى كلاب: عتبات النص في رواية (ستائر العتمة) لوليد الهودلي دراسة سيمولوجية سردية، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية- شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية- غزة- فلسطين، مج٢٥، ع١، ٢٠١٧، ص٦.
(٤) قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة(مغامرة في أشهر الإرسالات البصرية في العالم)، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران، ٢٠٠٥، ص٢١.
(٥) يوتوبيا: أحمد خالد توفيق، دار بلومزبري- مؤسسة قطر للنشر، فيلا رقم ٣، المدينة التعليمية، الدوحة، قطر، ط١ داخل مصر عام ٢٠٠٩م عن دار ميريت، ط٢ للتوزيع خارج مصر في قطر ٢٠١٠م عن دار بلومزبري، ص٢٠.
(٦) السابق: ٢٤.
(٧) نائل درويش سليمان المصري ، سيمياء الألوان في شعر بلند الحيدري ، رسالة ماجستيرفي الأدب و النقد ، من قسم اللغة العربية، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة ، ١٢٠٤م ، ١٤٣٦هـ ، ص ١٦٤.
(٨) يوتوبيا : ٤٨.
(٩) السابق :٧٧
(١٠) نفسه :١٠٢ ، ١٠٣.
(١١) نفسه :٩٨.
(١٢) نفسه :٥٩.
(١٣) نفسه : ١٨٤ ، ١٨٥.
(١٤) الغلاف الخلفي لرواية يوتوبيا .
(١٥) نفسه.
(١٦) محمد الأمين خلادي، شعرية العنوان بين الغلاف و المتن (مقاربة بين الصورة و الخطاب الروائي اللاز أنموذجًا)، مجلة الأثر، عدد خاص (اشتغال الملتقى الدولي الخامس في تحليل الخطاب الروائي عند الطاهر وطار)، جامعة تبسة، الجزائر، ص ٢٩.
(١٧)ينظر جميل حمداوي: السيميوطيقية و العنونة، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة، الكويت، ١٩٩٧، ص٩.
(١٨)عبد الحق بلعابد: عتبات النص جيرار جنيت من النص إلى المناص، تقديم د. سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م ، ص ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩.
(١٩) يوتوبيا :١٢٦.
(٢٠) م.د أحمد عبد الرزاق ناصر الحسني . ثنائية (اليوتوبيا – الديستوبيا) في الرواية العراقية دراسة سيميائية، كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية / قسم اللغة العربية، مجلة الآداب / ع ١١٢، ٢٠١٥م ، ١٤٣٦هـ ، ص١٣٦.
(٢١) يوتوبيا : ١٩ ، ٢٠
(٢٢) فريد حليمي ، سيميائية العنوان في الرواية الجزائرية المعاصرة (١٩٩٥ – ٢٠٠٠) مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الأدب الجزائري المعاصر، ٢٠٠٩، ٢٠١٠م، ص ٦٤.
(٢٣) يوتوبيا: الصفحة الثالثة بعد الغلاف.
(٢٤) السابق : ١٤.
(٢٥) نفسه :١٨.
(٢٦) نفسه : ١٣١.
(٢٧) عبد الحق بلعابد: عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، ص١٢٥.
(٢٨) يوتوبيا : ١٥، ١٦.
(٢٩) السابق : ١١٢.

(٣٠) نفسه : ١٨٨.
(٣١) نفسه : ٦٩.
(٣٢) نفسه : ١٥١.

The thresholds of the text are read in Ahmed Khaled Tawfiq's Utopia.

Preparation:
Eman Bassiouni Ibrahim Bassiouni

Master of Literature and Criticism in the Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts - Tanta University.

Dr. Mohammed Al Sayed Al-Desouki.
Full-time professor in the Department of Literature and Rhetorical Criticism, Faculty of Arts - Tanta University.

A.M. Mohammed Musharraf Khader.
Assistant Professor in the Department of Literature and Criticism, Faculty of Arts - Tanta University.

Abstract:
The theme of the study crystallized on clarifying the importance of the text thresholds of Ahmed Khaled Tawfiq's Utopia novel, The thresholds of the text are a semiotic system with semantic dimensions and an seductive function that makes the recipient track his significance and dismantle his code and its strangeness, which motivates the reader to look for its significance and relevance to the narrative, activates the intellectual energies of the recipient to interpret the narrative text, and interacts in the psychology of the recipient intellectual accumulated to interpret the text and imagine the dramatic plot within the body beginning from the threshold of the cover in its multiple colors His deep expressive drawings, the title threshold, and the inner thresholds of chapter titles.
It is the first stop in which the reader takes over the story, and gets into it, so that his eyes fall on its textual thresholds, preparing the reader to enter into the novel, reveal its ambiguity, and cover the novel, although not the author's work, but expressed and part of it.

Keywords:
Thresholds - text - cover – Utopia.